

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين المعصومين.

ان الله تعالى أمر الإنسان بالعبادة والطاعة، ولم يقصر ذلك على صنف معين من نوع الإنسان، بل هذا الأمر يشمل كلا الصنفين: الذكر والأنثى، قالت الآية الكريمة:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧.

يعد الالتزام في المجتمع أمرًا ليس باليسير، وكذا الفضيلة في محيط طاهر أمر يسير، ولكن الالتزام والتمسك بالطهر في مجتمع فيه انحراف، أمر صعب ونادر، وخديجة بنت خويلد عليها السلام كانت من هذا النوع، فالمجتمع الذي عاشت فيه كان موبوءاً بالمعصية، ولكن المعدن الطيب لهذه المرأة الصالحة، ورجحان عقلها جعلها تسلك طريق الكمال والفضيلة والطهر، حتى لُقِّبت في أيام الجاهلية بالطاهرة، وهي السيدة المؤمنة المجاهدة المنفقة أم الذرية النبوية الطاهرة، وقد يسأل غير المسلم من هي خديجة؟ ولا غرابة بسؤاله إذ ما عرفناه أن التاريخ الذي كتبه أيدي السلطة غيبت الكثير ممن لهم الفضل في تشييد الدين الإسلامي وانتشاره، ولم يُذكروا إلا بذكر يسير لا يروي الظمان، ومن الذين شملهم هذا الظلم، أم المؤمنين خديجة، متناسين أنها أول زوجات الرسول ﷺ وأحبهم إلى قلبه حيث لم يتزوج عليها بحياتها، ولم ينمح ذكرها عن لسانه بعد رحيلها، كما سوف نرى سيرتها العطرة من

خلال هذه الصفحات.

نسبها عليها السلام:

هي أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشية فنسبها عليها السلام يرجع إلى قبيلة قريش ويلتقي نسبها بنسب رسول الله الأعظم ﷺ عند جدها الثالث من أبيها وعند جدها الثامن من أمها.

ألقابها عليها السلام:

لها سلام الله عليها عدة من الألقاب، وهي مشتقة من صفاتها، فهي أم المؤمنين، قال تعالى: ﴿النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الاحزاب: ٦. وأيضاً وسَمَّها الرسول الكريم ﷺ بوسام عظيم حيث وصفها بأنها سيدة نساء العالمين، كما أن لها ألقاباً عرفت بها قبل الإسلام وبعده منها: سيدة قريش، الطاهرة، المباركة، الرضية، الصديقة، وهي أول سيدة مؤمنة بالرسالة والولاية، وأول سيدة مصلية.

أول من أسلمت عليها السلام:

جاء في البحار: كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بها جاء من الله ووازرتة على أمره. (البحار: ج ١٦ ص ١٠).

كما ذكر الشيخ الطوسي: (وكان رسول الله ﷺ يقول لخديجة عليها السلام ويخبرها بما يأتيه من قبل أن ينبأ به، وما يراه في منامه، فلما أتاه الوحي من عند الله عز وجل بالرسالة أخبرها بذلك ودعاها إلى الإسلام، فأمنت، كما آمن علي عليه السلام، فكانا أول مسلمين به، وعن ابن عباس يقول: أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال علي، ومن

النساء خديجة عليها السلام). الأماي: ص ٢٥٩ ح ٤٦٧.

وفي الأخبار الواردة أن الإسلام لم يقم إلا بال خديجة عليها السلام، كما صرح به رسول الإنسانية ﷺ، ذكر الشيخ الطوسي: (قال أبو عبيدة: فقلت لعبيد الله يعني ابن أبي رافع: أو كان رسول الله ﷺ يجد ما ينفقه هكذا؟ فقال: فأين يذهب بك عن مال خديجة عليها السلام، وقال: إن رسول الله ﷺ قال: ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة عليها السلام، وكان رسول الله ﷺ يفك من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكل ويعطي في النائبة ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكانت أكثر قريش مالاً). (الأماي: ص ٤٦٨)، وهذه شهادة عظيمة المنزلة والقدر لمولاتنا وسيداتنا خديجة عليها السلام من خاتم النبيين.

إخلاصها للرسول ﷺ:

كانت خديجة عليها السلام تقوم بأدوار بطولية ورسالية، فكانت تمثل بلسان لآهات وآلام النبي ﷺ، كما كان النبي ﷺ مدة وجوده في مكة يتمتع بحماية عمه ودفاعه عنه، وكان رسول الله ﷺ يقول: (ما اغتممت بغمّ أيام حياة أبي طالب وخديجة). القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٣. ولقد كانت هذه المرأة العظيمة في غاية الإخلاص والاحترام للرسول ﷺ لا سيما في أصعب الظروف التي مرت به ﷺ، فكانت مؤنسته عندما يرجع إلى بيته ﷺ فتزيل عنه الهموم والغموم والآلام، وتستقبله بالحب، وتسمعه أجمل الكلمات التي من شأنها أن تذهب عنه الآلام والجراح التي تحمّلها لأجل نشر هذه الرسالة الخالدة العظيمة.

منزلة خديجة عند الله ورسوله:

كان لها منزلة عظيمة عند الله تعالى والنبي ﷺ، وتمتع بمكانة خاصة حيث ورد في الأخبار أن الله أمر النبي ﷺ بالسلام عليها، وغير ذلك، قال المجلسي: إن جبرائيل أتى النبي ﷺ فسأل عن خديجة فلم يجدها، فقال: إذا جاءت فأخبرها أن ربها يقرؤها السلام (البحار: ج ٦٦ ص ٨). وزاد ابن حجر في الإصابة ج ٨، ص ١٠٢ أنها قالت: (إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله)، لا إشكال أن لهذا السلام منشأ، وإلا فإنه لا يصدر عن الحكيم لأنه يلزم اللغوية، والخالق منزه من اللغوية، بالأدلة العقلية والنقلية، وهذا السلام يكشف أن لهذا الفرد خصوصية عند المولى تعالى.

وكان ﷺ يجلبها في حياتها وحتى بعد وفاتها، ويعتز بها ويقدر مواقفها المشرفة، كما روي عنه ﷺ أنه قال: (يا خديجة إن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مرارا). بحار الأنوار ج ١٦ ص ٧٨، وروي ابن هشام في سيرته، ج ١، ص ٨٠، عن النبي ﷺ أنه قال: (لم يرزقني الله زوجة أفضل من خديجة أبداً).

كما ذكر الكنجي الشافعي عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإني لم أدركها. وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح شاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قال: فأغضبته [عائشة] يوماً ... فقال: إني رزقت حبّها. صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨٨ (وكفاية الطالب: ص ٣٥٩).

وذكر ابن الجوزي في تاريخه ج ٣، ص ١٨ عن عائشة:

(كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ﷺ فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوماً من الأيام فأدرتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها؟ قالت: فغضب حتى اهتزّ مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أخلف الله لي خيراً منها، لقد آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بماها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل أولادها إذ حرمني أولاد الناس)، ولعمري لقد كان هذا من عائشة بعد وفاة خديجة ﷺ، فكيف لو كانت سلام الله عليها على قيد الحياة؟! وإذا كانت غيرة عائشة قد بلغت الأموات، فما حالها مع الأحياء، وكيف كانت معاملتها لمن؟!)

أقول: لو لم يكن إلا هذه الرواية في ذكر سيدتنا ومولاتنا أم المؤمنين خديجة ﷺ لكانت أعظم شهادة لها في هذا الكون وعلى لسان من؟ لسان رسول الإنسانية وخاتم النبيين ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ويقسم بالله العظيم على عظم شأنها وحبها وإيمانها وتصديقها بالله ورسوله في وقت كفر الناس به وصدّوا عنه، وأن الله لم يخلفه خيراً منها - أي أنه لم تسد مكانها أية زوجة من زوجاته ﷺ - . هذه الشهادة عند الإنسان العاقل والمنصف، وعند من لا تتحكم به العصبية والحقد البغيض، ليست بقليلة بل هي حقيقة واضحة وشهادة عظيمة لهذه الإنسانية العظيمة التي ضحت بنفسها وأموالها وذريتها، وكل ما ملكت من أجل إعلاء كلمة الحق وإحياء هذا الدين ونصرته ودحض الباطل وأهله.

وصاياها:

وجاء في كتاب شجرة طوبى: ولما اشتد مرضها قالت: يا رسول الله اسمع وصاياي... الوصية الثالثة فإني أقولها لابنتي فاطمة وهي تقول لك فإني مستحية منك يا رسول الله، فقام النبي ﷺ وخرج من الحجرة، فدعت بفاطمة وقالت: يا حبيبي وقرّة عيني قولي لأبيك إن أُمّي تقول أنا خائفة من القبر أريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفّني فيه، فخرجت فاطمة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة، فقام النبي ﷺ وسلم الرداء إلى فاطمة وجاءت به إلى أمها فسّرت به سروراً عظيماً، فلما توفيت خديجة أخذ رسول الله ﷺ في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرائيل وقال: يا رسول الله إن الله يقرؤك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك: يا محمد إن كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت ما لها في سبيلنا فجاء جبرائيل بكفن وقال: يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهدها الله إليها، فكفنها رسول الله بردائه الشريف أولاً وبها جاء به جبرائيل ثانياً، فكان لها كفنان، كفن من الله وكفن من رسول الله ﷺ. شجرة طوبى ج ٢ ص ٢٣٥.

وفاة السيدة خديجة ﷺ:

أقامت ﷺ مع رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين سنة وشهراً، ولم يتزوج غيرها، إلا بعد أن توفيت ﷺ. بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٠٠. وكانت وفاتها مصيبة عظيمة على قلب رسول الله ﷺ وقد تبعها مصائب وكوارث تحمّلها النبي ﷺ برباطة جأش وصبر على المكاره، حتى

إنه ﷺ سمى العام الذي توفي فيه أبو طالب وخديجة ﷺ بعام الحزن. بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥. وعند دفنها نزل رسول الله ﷺ في حفرتها وأدخلها القبر بيده الشريفة في مقبرة الحجون - والحجون: بفتح الحاء جبل بمكة -، بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٩٧. وكان على قبرها قبة، وقد طالتها أيدي التخريب، فهدمت. وكانت وفاة السيدة خديجة ﷺ وأبي طالب ﷺ في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين أي في السنة العاشرة من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب. بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٠.

وبعد وفاة السيد خديجة ﷺ أصبح منزلها أحد الأماكن المقدسة التي يؤمّها آلاف الحجاج سنوياً، يقول الشيخ الأنصاري إذا نزلت مكة المكرمة يستحب للحجاج أن يزور بيت خديجة ﷺ. كتاب مناسك الحج. وللأسف الشديد لم تترك الفرقة الوهابية الضالة عدوة الدين والإسلام قبة الوحي فقد امتدّت إليها بالتخريب والتدمير كما هو شأن باقي الآثار الإسلامية وسوّتها بالأرض فإننا لله وإنا إليه راجعون، فسلاماً على أم المؤمنين خديجة قرينة سيّد الأنبياء والمرسلين وأمّ سيّدة نساء العالمين.

والسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد واله الطاهرين.

